مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد08 / العـدد: .02(2024)، صص231-216

الحركة العلمية في إيالة الجزائر في العهد العثماني

The scientific movement in the province of Algiers in the Ottoman era

عبدالحميد جنيدي

جامعة ابن خلدون تيارت الملحقة الجامعية قصر الشلالة

Djhamid84@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024../02../01 تاريخ القبول: 2024../.06/.12

- **الملخص:**

أن معظم الدراســات التي اهتمت بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ركزت على الجانب الســياســي أكثر من أي جانب آخر، لكن هذا لم يمنع من وجود مصـادر تناولت الجانب الثقافي والتعليمي، حيث أشـادت بانتشـار التعليم في مختلف المؤسـسـات التعليمية من كتاتيب ومدارس ومسـاجد و زوايا منتشـرة في كل من المدن والارياف الجزائرية على حد سـواء، وسـاهمت في نشـر المعرفة والثقافة المبسـطة بين مختلف فئات المجتمع للحد من انتشـار الأمية وتخريج عدد من العلماء والفقهاء الذين تولوا البرامج الدينية والوظائف التعليمية، وفي هذا المقال نحاول الوقوف عند وضـــعية التعليم بالجزائر في العهد العثماني، ودراسة تنوع هذه المؤسسات التعليمة ومختلف برامجها، وتوضيح دورها في الحد من الأمية.

كلمات مفتاحية: المؤسسات التعليمة، المساجد، المدارس، العهد العثماني، الكتاتيب، التعليم، الزوايا.

Abstract:

Admittedly, most studies that were concerned with the Ottoman period of the Algerian history focused on the political aspect more than any other aspect, but that does not dismiss the existence of other sources that addressed the cultural and educational aspects. There have been studies that praised the spread of education amongst various educational institutions such as Qur'anic schools, known as Al-Katatib, Al-Madariss, Al Zawaya, and mosques that were common in urban and rural areas alike. These institutions contributed to the dissemination of knowledge and simplified culture between the different segments of society to reduce illiteracy. Additionally, they helped in training a number of scholars and scientists that took charge of the religious syllabi and occupied educational jobs. This article aims to examine the situation of education in Algeria during the Ottoman era and study the diversity of the above-mentioned educational institutions and various programs as well as their role in reducing illiteracy.

Keywords: educational institutions, Mosques, Al-Madaris, Ottoman era, Al-Katatib, education, Al-Zawaya.

ارتبط التعليم بالجزائر إبان العهد العثماني بمختلف المؤسسات التعليمية المنتشرة في المدن والارياف، ولقد لعبت دوراً هاماً في الحد من انتشار الأمية بين أوساط المجتمع، ولم يكن من بين هذه المؤسسات التعليمية جامعة أو معهد عال إلا أن بعض المساجد والمدارس والزوايا كانت تبث تعليما في المستوى العالي. من هنا نطرح الإشكالية التالية كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر على العهد العثماني؟ وما هي طبيعة هذه المؤسسات التعليمية؛ وأي برامج تعليمة تقدمها؟ ومن هم العلماء والمؤرخين والادباء الجزائريين الذين كانت لهم مساهمات في الحركة العلمية؟، وللإجابة عن هذه الإشكالية استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي من أجل وصف مختلف المؤسسات التعليمة، والتحليلي لمعرفة من هؤلاء العلماء والفقهاء والمعلمون، والمتعلمون بهذه المؤسسات التعليمية، وعلاقتهم بمختلف فئات المجتمع الجزائري.

-الحركة العلمية في إيالة الجزائر العثمانية: ارتبطت الحياة العلمية في ايالة الجزائر العثمانية بالمؤسسات الدينية والتعليمة من **مساجد وزوايا وكتاتيب** ومعمرات وخلوات **ودور المكتبات** هذه المرافق لعبت أدوارا هامة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني خلال الفترة الممتدة من القرن16م إلى القرن19م؛ وكانت معظم هذه المؤسسات مخصصة للتعليم، وتميزت بعضها كما يذكر **ناصر الدين سعيدوني** بتعليم برامج ذات مستوى عال تمكن الطالب من حصوله على إجازة شيوخها من معرفة معمقة بالعلوم الدينية[1].

1- المساجد: كانت المساجد فيها تقام الصلوات، وهي أيضا كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحطا لفنون العلوم التي كانت تدرس في ذلك العهد[2]، وهي من أبرز ميزات مدينة الجزائر والتي تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية هذا بالإضافة لدورها الكبير في حياة المجتمع[3] فالمساجد إذا جمعت بين العبادة والتعليم ،كما يذكر **أبو القاسم سعد الله** في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830م (**المسجد هو ملتقى العباد ومجمع الاعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، وكانت بمثابة مكاتب قرآنية**)[4].

ويروي هايدو أنه في عام1581م بلغ عدد مساجد مدينة الجزائر100مسجد على الأقل، وفي سنة1830م قدر جورج مارسيه عدد المساجد بـ222مسجدا بما فيها13مسجدا جامعا[5]، و من قبل العثمانيين بما فيهم الاعلاج[6]. ومن أشهر مساجد الجزائر العاصمة خلال الفترة العثمانية ما يلي:

- الجامع الكبير: ويعد من أقدم وأهم المباني الدينية في الجزائر العاصمة واكثرها صيتا وشهرة، ويسمى كذلك بالجامع الأعظم، وقد شيد في أول رجب490هـ/1097م من طرف **يوسف بن تاشفين**. ويحتوى الجامع على مكتبة ضمت كتب دينية قيمة، كما كان يعرف المكان الذي تعقد فيه جلسات القضاء الاعلى بالمجلس العلمي أو المجلس الشرعي، وكانت ترفع اليه القضايا المستعصية وهنا تجدر الاشارة أن

1 ناصر الدين سعيدوني، "**الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في ولايات المغرب العثمانية (الجزائر- تونس-طرابلس الغرب) من القرن16م حتى القرن19م**"، مجلة الحوليات والعلوم الاجتماعية، العدد31، جامعة الكويت، 2010م، ص ص(72-75).

2 محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص59.

3 أشرف صالح محمد سيد، "**المراكز الثقافية في دار السلطان- الجزائر- اواخر العهد التركي**"، مجلة أماراباك، المجلد4، العدد2013، ص64.

4 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص...

5 عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن في الجزائر**، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ،2006، ص90.

6 **الاعلاج**: وهم عناصر من جنسيات مختلفة من ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، وقد نجح العثمانيين في استمالة الكثير منهم وفتحت لهم أبواب العمل ليكونوا سندا لهم بين اهالي الجزائر، وقد وصل الاعلاج إلى اعلى المناصب.

جلسات هذا المجلس تعقد داخل المسجد إذ كان الخصوم من المسلمين، اما إذا كانوا من اليهود أو النصارى فإن أعضاء المجلس يخرجون إلى صحن بجانب الجامع وهناك كانت تتم الجلسة، وكانت أوقاف وحبوس الجامع الأعظم يشترك في تحبيسها **المالكيون والأحناف** على حد سواء.

وهو من أقدم المساجد في الجزائر ويسمى أيضا بالجامع الاعظم، تقدر مساحته بنحو200م2، ويحوي أقدم منبر في العالم الاسلامي، وهو المنبر الشريف الذي يحمل نقوش تعود إلى أوائل القرن1هـ/7م، وكانت صومعته ترتفع على مستوى الأرض إلى 5أمتار، وسقف المسجد يرتكز على62عمودا، وفيه فوارة من الرخام أضافها العثمانيون في الساحة المخصصة للوضوء[7].

– **مسجد كتشاوة– أو كتشاوى:** مسجد حنفي بنوه في السنين الأولى من القرن11هـ/17م، وأعيد بناؤه وتوسعته من طرف **بابا حسن باشا** في عام1795م[8]، وفي العهد الاستعماري دمر وشوه المسجد وحول إلى كاتدرائية– كنيسة– سنة1845م. ويعتبر مسجد كتشاوة الآن من أشهر مساجد العاصمة وهو يقع في الساحة المسماة حاليا بساحة ابن باديس، والمسجد حمل أسم كتشاوة والتي تعني هضبة المعز باللغة التركية.

وكان مظهره آنذاك عبارة عن قبة واسعة، وكانت المئذنة التي لم يعد لها الآن أثر، فقد كانت من الطراز المغربي أي على شكل مربع. وقد حفظت لنا الرسوم والنقوش ثراء الزخرفة ورحابة قاعة الصلاة، بأعمدتها الرخامية العظيمة وأخشابها الرائعة النقش.

– **مسجد السيدة:** وهو أيضا من أشهر مساجد مدينة الجزائر، وترجع أقدم الوثائق التي تحدثت عنه إلى سنة1546م، حيث كان المسجد يقع على شارع باب البحرية، وتحدث عنه الاسباني هايدو سنة1581م، وقد أتخذه الباشوات مصلى لهم لقربه من قصر الجنينة– قصر السلطان والحكم–.

– **مسجد علي بتشين:** وهو من أقدم المساجد في الفترة العثمانية بناه علي بتشين من ماله الخاص في عام1622م، والذي حمل أسمه، وكان يقع في نهج باب الواد وسيدي إدريس حميدوش، وتم تحويله في الفترة الاستعمارية إلى كنيسة– عام1843م[9].

– **مسجد الجامع الجديد(جامع الحواتين):** بنى الجامع الجديد في عام1070هـ/1660م بأمر من يطلق أهل مدينة الجزائر على هذا الجامع أيضا اسم الجامع الجديد وهو الاسم الشائع له، ويعرف أيضا باسم جامع الحواتين لقربه من شاطئ الحواتين، ويشغل المسجد مساحة قدرها1371.20م2[(10)]، وبنى الجامع على رغبة وإرادة الجيش العثماني بالعاصمة، ومن مال مؤسسة سبل الخيرات، وبنى هذا الجامع على انقاض مدرسة قديمة تسمى مدرسة أبوعنان، وتعلو منارته25ميترا من سطح الأرض، ونصبت الساعة التي كانت في قصر الامارة في أعلى المنارة وتحت المئذنة سنة1854م، ومنبر المسجد من الرخام الأبيض المنقوش[11].

---

7 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص65.

8 عبد القادر نور الدين، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر،2006، ص164.

9 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص ص(65-67).

10 نفسه، ص ص(93-97).

11 عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص ص161 –163.

وكان هذا المسجد تابعاً للمذهب الحنفي، و يعرف أيضا بمسجد الصيادة. وكان لهذا المسجد إمام خطيب وإمام للصلوات، وفقيه للفقه المالكي، وهنا تجدر الاشارة إلى أنه رغم اندراج المسجد في اطار المذهب الحنفي إلا أنه كان يشمل على استاذ ومدرس للفقه المالكي وهذا دليل على غياب أي تعصب مذهبي[12].

ولقد وجدت في مدينة الجزائر خلال هذه الفترة مساجد وجوامع منها مسجد سيدي عبدالرحمان الثعالبي الذي بني في عام1696م ويتميز بصغر مساحته، وقد بنى فوق ضريح عبدالرحمان الثعالبي المتوفى عام1470م[13]، وجامع سافير يعود بناؤه إلى سنة940هـ،والداي حسين باشا آخر دايات الجزائر أعاد بناءه سنة1826-1827م، وهو مسجد حنفي، وجامع القصبة البراني الذي اعاد بناءه حسين داي ووسعه في سنة1818م، ومسجدا آخر قد بناه الأخير داخل القصبة في سنة1818-1819م[14]، ومساجد أخرى كثيرة مثلاً في سنة1830م كان يوجد بمدينة الجزائر 94مسجدًا حنفيًا، 12مسجدًا مالكيًا، ومن مساجد وجوامع الجزائر العاصمة هذا بالإضافة إلى المصليات، وهي التي لم تكن تملك مئذنة، حيث كان يؤذن للصلاة أمام باب المصلى، ومن أشهر المصليات مصلى سيدي هلال، الذي أقيم حول ضريحه، وتشمل القاعدة الرئيسية على محراب، وتعلوها قبة مثمنة الزوايا، لقد اهتم العثمانيون ببناء المساجد وتأمين الموارد لحمايتها، والإنفاق على إقامة الشعائر الدينية فيها، ولم يهتموا بشيء آخر من العمران[15].

ومن أهم مساجد المدن الجزائرية الأخرى خلال الفترة العثمانية نجد: **جامع سيدي لخضر بقسنطينة:** يعتبر جامع سيدي لخضر أحد منجزات العثمانيين في الشرق الجزائري، أمر ببنائه حسن باي في أواخر شهر شعبان سنة1156هـ[16]. وفي أواخر العهد العثماني بنى **جامع الباشا بوهران** بأمر من حسن باشا1792م بعد التحرير النهائي لمدينة وهران وهو مسجد جامع، وخلال الفترة الاستعمارية حول هو الأخر إلى كنيسة[17]. وجاء في تقرير قائد الفرقة العسكرية الجنرال بيدو في12فيفري1847م عن المساجد في قسنطينة عند الاستيلاء عليها سنة1837م:" **كان عند الاستيلاء على المدينة كان بها35مسجدا**..." [18]. والجدير بالذكر؛ أن هذه المساجد، والجوامع، والمصليات كانت تحظى بالعناية والاهتمام من قبل كل المجتمع من بينهم ممثلو السلطة، وقد تجسد ذلك في الحرص على المساهمة في بنائها والمحافظة عليها ومن خلال تحبيس الحبوس، وهذا دليل على مكانة الدين الإسلامي في الحياة اليومية لهؤلاء[19].ويتضح مما سبق أن عدد المساجد في الجزائر لم يكن قليلا؛ وقد اشترك في تأسيسها الأهالي والعثمانيون لدوافع دينية للعبادة، ودوافع تعليمية كتعليم القرآن الكريم والتفسير أو الحديث وبهذا لعبت هذه المساجد دوراً أساسياً في القضاء على الأمية بالجزائر في مدنها و أريافها.

2- الزوايا: كانت الزوايا تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطشين للعلم والمعرفة، وقد كانت مقسمة إلى قسمين أثنين كل قسم منهما يقوم بدوره أحسن قيام. يقوم **القسم الأول** بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، وقد يؤمه

---

12 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص ص65-66.

13 عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص100.

14 عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص ص167-168. (164-168).

15 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص67.

16 عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص ص(93-97).

17 نفسه، ص102.

18 عبدالحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900)**، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2009، ص217.

19 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص67.

غالبًا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم. **أما القسم الثاني:** فإنه يقوم بتدريس بعض فنون الفقهيات والعقائد، والعقائد وقواعد النحو والصرف، وبعض المبادئ في علم الفلك، وفنون البلاغة والمنطق، وهذا القسم لا يؤمه غالبًا إلا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف[20]، ولقد كثرت الزوايا في مدينة الجزائر ومن أمثلة ذلك:

– **زاوية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي:** شيدت هذه الزاوية حوالي سنة1107هـ/ 1696م بأمر من الأمير الحاج أحمد بن الحاج المصلي– حاكم الجزائر–، وكانت تحتوي الزاوية على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل[21]، إلى جانب قبة مثمنة الزوايا، وهو الشكل الذي نقله الأتراك إلى الجزائر، أما المحراب فإنه مزين بأجور الخزف المستورد من أسيا الصغرى وبجانبه سريتان صغيرتان من رخام، وقبر الشيخ العلامة وعدة بيوت ومرافق وسكن لوكيل متصلة بالمسجد، كما أن حجرة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي تحوي عدة قبور دفنت فيه شخصيات تمثل قبر الحاج أحمد باي قسنطينة، وقبر خيضر باشا[22].

– **زاوية الجامع الكبير:** تقع بنهج باب الدزيرة– الجزيرة– مشتملة على مسجد بدون منارة، ومدرسة للصغار، كما كانت تضم طابقين فيهما بيوت مخصصة للعلماء من عابري السبيل، أو الفقراء الذين لا مأوى لهم، وقد وقف على بنائها المفتي المالكي الشيخ سعيد بن الحاج إبراهيم وذلك سنة1630م، وكان جامع سيدي عبدالرحمن الثعالبي بالقرب منها[23]، كما كانت تشتمل على طابق أرضي، حيث كان يوجد عدة محلات لإقامة الذين يعملون بالجامع الأعظم، وقد وقف على بناء هذه الزاوية المفتي المالكي الشيخ سعيد ابن الحاج إبراهيم، مما بقى بيده من دخل حبوس الجامع الكبير بعد أداء جميع المصاريف المتعلقة بهذا الأخير، وقد بُني سنة 1039هـ/ 1630م.

– **زاوية سيدي محمد الشريف:** كان محمد الشريف من الأولياء المكرمين جدًا في مدينة الجزائر، توفي سنة 948هـ/ 1542م كما يدل بذلك التسجيل القريب من ضريحه. وقد كان يشرف على هذه الزاوية وعلى الأوقاف الكثيرة المخصصة لها وكيل بمساعدة شاوش وكلاهما كانا من الأندلسيين، وكانت زاوية الأندلسيين تقدم مساعدات للفقراء، والمعوزين الذين تثبت نسبهم إلى جماعة الأندلسيين، وشجعتهم في ذلك السلطة وتعاطفت معهم، وكان إنشاء الزاوية أو المدرسة، أو المسجد من طرف هؤلاء الأندلسيين دافعًا لتخصيص المزيد من الأوقاف لينفق دخلها على المشرفين على تسييرها، حيث بلغت حسب بعض الإحصاءات نحو ستين مؤسسة وقف[24].

–**زاوية الأندلس:** بناها الاندلسيون المتواجدون بالجزائر وكانت موضعا للدروس العلمية وتعليم القرآن و ملاذا للمعوزين من الاندلسيين وظلت قائمة إلى سنة1843م، وكانت بسوق السمن في نهج باب الجديد[25]، وزاوية الشيخ سيدي محمد بن عبدالرحمن وقع بناؤها سنة1792م في عهد الداي **حسن باشا**[26].

---

20 محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ص58–59.

21 عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص ص171–172.

22 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص68.

23 عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص ص166–167.

24 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص ص(68–70).

25 عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص ص170–171.

26 نفسه، ص184.

هذا بالإضافة إلى **الزوايا الكبرى بالريف** مثل زوايا بلاد القبائل التي كان عددها لا يقل عددها عن اربعين40زاوية أهمها: سيدي عبدالرحمن اليلولي وسيدي محمد بوقبرين توفى1105هـ/1694م، وسيدي علي بن الشريف المتوفي1112هـ/1700م، وزاوية سيدي أحمد بن غدريس، وسيدي منصور، والشيخ وأعراب وأولاد مصباح، وكذلك زوايا الصحراء ببوسعادة والهامل وسيدي خالد وبسكرة وسيدي غقبة وطولقة وعين مماضي وتماسين، وزوايا ناحية وهران زواية محمد بن علي بهلول بمجاجة بالشلف والقيطنة بوادي الحمام وعين الحوت بنواحي تلمسان والبسباس بعمي موسى، وابن أحمد البدوي بتلمسان، وزوايا الهضاب العليا وشمال قسنطينة والأوراس بلحملاوي والشقفة والمنعة، وزوايا جهات الجزائر بني خليل بسهل متيجة وصماتة والبراكنة بشرشال ومحيي الدين ببني سليمان[27].

أما الرباطات، فهي تشبه الزوايا من بعض الوجوه، فهي تسهر كذلك على خدمة الدين والمجتمع، ولكن الرابطات كانت تمتاز بأنها قريبة من موقع الأعداء وأن تأسيسها يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام، مع أداء مهمة العلم أيضًا.

وكانت الرباطات في العهد الأول منتشرة على السواحل التي أقام بها الأعداء، وكان الطلبة جنودًا وعلماء في نفس الوقت، فالرباطات تعد قلاعًا من جهة، وزوايا ومدارس متنقلة من جهة أخرى، ومنها زاوية الشيخ محمد بن علي الجاجي، التي اشتهرت بكونها زاوية ومدرسة ورباطًا[28].

3- المدارس: المدارس هي أماكن لألقاء الدروس، وبها غرف يسكنها الطلبة الغرباء[29]، وقد أنشئت على أيدي المحسنين، وكانت تُمول بالأوقاف التي كان يحبسها أصحاب النفوس الخيّرة التي ترجو الخير وتسعى إلى وهب ربع عقاراتها لبناء المدارس، وغيرها من المشاريع التي تدعم التعليم بشتى أشكاله، ولم يكن للدولة العثمانية شأن بها سوى تخصيص بعض مناصب لنفر من العلماء[30].

ولم تكن للجزائر العثمانية مدرسة مستقلة للتعليم المحض أو بالمعنى الذي نفهمه اليوم، وحتى بعض المدارس التي وجدت على نحو يقرب ذلك كانت تعود إلى القرن18م باستثناء بعض مدارس تلمسان التي تعود إلى العهد الزياني، ومدرسة مازونة لكنها تدهورت خلال العهد العثماني بسبب الاستلاء على الأوقاف من طرف بعض الولاة، إلا أن الباي محمد الكبير باي الغرب المتوفى1799م جدد هذه المدارس وأعاد إليها أوقافها [31]. وقد أسس هذا الأخير مدارس بمستغانم ووهران. كما اهتم صالح باي المتوفى1792م بشؤون العلم بمدينة قسنطينة فأدخل اصلاحات عليها عام1771م وخصص منحا سنوية لعدد من الطلب، وانشأ مدرستي سيدي الكتني1776م، سيدي الأخضر1779م[32].

وعملت المؤسسات التعليمية من مدارس وزوايا سواء منها ما كان موجودا بالمدن او الريف على نشر المعارف الميسرة والثقافة الدينية المبسطة في أوساط عامة الناس فقامت بتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم وبتلقين ما هو ضروري من أمور العبادة مما حد من ظاهرة الأمية،

27 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص73.

28 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص ص(68-70).

29 محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص58.

30 فاطمة دخية، **الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني**، إشراف: تبرماسين عبدالرحمن، رسالة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، غير منشورة، كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية 2014-2015م، ص21.

31 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1983)**،ج1، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، 2005، ص ص280-281.

32 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص81.

وهذا ما أثار انتباه الفرنسيين غداة احتلالهم للجزائر سنة1830م فقد ورد في أحد تقارير ضباطهم:" **أن عدد الجزائريين الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة يفوق ما كان موجودا في الجيش الفرنسي نفسه، الذي كانت نسبة الأمية به تقدر بـ45%**"[33].

وجاء في ذات التقرير السابق للجنرال بيدو عن مدينة قسنطينة عند احتلالها عام1837م:"... **كان بالمدينة07مدارس تتسع لعد من التلاميذ يتراوح بين600و700، ويتلقون فيها تعليما يعرف بالتعليم الثانوي بالإضافة إلى دروس أخرى كان يلقيها أشخاص ذوو سمعة واسعة،...وبالمدينة أيضا تسعون90مدرسة ابتدائية يتردد عليها حوالي1350طفلا،...، أما عدد المدارس اليوم فقد انخفض إلى30مدرسة. كما انخفض عدد التلاميذ إلى 350 تلميذا**"[34].

والتعليم في الجزائر قبل سنة1830م كان موزعا ومنظما، ولم يكن منظما في مؤسسة بل كان موزعا على المدارس والزوايا والكتاتيب القرآنية، وتمثل في جملتها نسبيا ثلاثة مستويات ابتدائي وثانوي وعالي، وكان مجانا في مستوياته الثلاث، وكان ينفق عليه من عائدات الاوقاف وهو كالتالي:

أ- التعليم الابتدائي: المدارس الابتدائية تتبع دائما مسجدا معينا أو زاوية معينة، والتعليم بها اشتمل على تعليم الاطفال الذين تتراوح اعمارهم مابين6و10 مبادئ القراءة والكتابة، وكان في غالب الاحيان المدرسة الابتدائية مجاورة للمسجد وملحقة بالوقف، وبهذا الصدد يذكر بيدو قائد فرقة قسنطينة العسكرية في تقرير له عن التعليم العمومي" **أنه كان عددهم15ولدا بكل مدرسة يدخلونها عند سن السابعة، يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن، وكان تعليم المادتين الاوليتين- القراءة والكتابة- عادة سنتين، في حين يتطلب حفظ القرآن خمس5سنوات، إلا أن معظم التلاميذ يغادرون المدارس عند نهاية السنة الرابعة**". و لكن عند الاحتلال اختفت بعض المدارس من جراء انعدام الصيانة وبسبب تحويلها إلى مصالح عمومية.

ب- التعليم الثانوي: أما التعليم الثانوي فقد كان موجها للأطفال المنتمين الى الطبقة الميسورة، وتتراوح اعمارهم مابين10إلى15سنة. وهذا النوع من التعليم يقدم في الجوامع وبصفة خاصة الزوايا. ويشتمل التعليم الثانوي على الدروس التالية:- النحو- الفقه- التفسير والحديث، وعلم الحساب والفلك، ومدة الدراسة كانت محددة بسبع7سنوات، وكان يتولى تعليم هذه المواد اساتذة يقترحهم الناظر ويزكيهم ويعينهم الداي.

ت- التعليم العالي: أما بخصوص التعليم العالي فكان يعطى في الجوامع الكبرى وفي الزوايا، ويشمل العبادات والتفسير والحساب والفلك والجغرافيا والتاريخ والطب[35]. ورغم افتقار الجزائر إلى المعاهد العليا في حجم الأزهر والقرويين والزيتونة إلا أن الدروس التي كانت تلقى في بعض جوامعها تضاهي دروس جامع الامويين بدمشق والحرمين الشريفين نوع التعليم: " **وأما العلوم فإنها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة محتقرة بل إن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه...إن القرآن هو كل علوم هؤلاء القوم وآدابهم.**" [36]. وكان في العاصمة

---

33 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص74-75.

34 عبدالحميد زوزو، المرجع السابق، ص217.

35 نفسه، ص ص(217-221).

36 ارزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519-1830م**،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، عمار بن خروف، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص ص334-335.

مدرستان وصفتا بأنهما في مستوى عال وهما مدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد، وأصلهما كان زاوية فقد جعل الأندلسيون منها مدرسة عليا لتعليم علوم القرآن ودراسة مختلف العلوم الأخرى، وكان الوقف يغطي حاجة المدرسة وكانت على مستوى راق لأن الأندلسيين عرفوا بإجادة فن الدراسة وحسن التربية ومراعاة التطور العقلي للتلاميذ. أما مدرسة شيخ البلاد فتعود إلى مؤسسها الحاج محمد خوجة أحد كتاب قصر الباشا في أواخر القرن18م، ويكاد الجامع الكبير بالعاصمة ومدرسته العليا يشكلان نواة لجامعة الجزائر؛ فكانت الدروس كثيرة يقدمها أبرز العلماء وحلقات الدروس تصل إلى 12حلقة[37].

ولم يمتحن الطلبة في المدارس الجزائرية للتخرج إلا أن الأساتذة كانوا يجيزون طلبتهم في مختلف الفنون؛ وهذه الإجازات تختلف حسب استعدادات الطلبة وتحصيله، فمنها ما يثبت مدة تكوين الطالب ومنها من يثبت نبوغ الطلبة والمحصلين، كما يُوذن لهم بموجب هذه الاجازات بالتدريس و رواية الحديث[38].

4- الكُتاب: كانت الكتاتيب أقل وحدة للتعليم الابتدائي ويطلق عليها في الجزائر العاصمة اسم "مسيد"؛ وهو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد[39]، وهي أكثر المراكز التعليم انتشارا في تلك الحقبة، إذ أقبل عليها الناس في مختلف البلدان التي خضعت للحكم العثماني، وقد وصف بأنه عبارة عن حُجرة مفروشة بحصر بالية، وتُقدم فيه للأطفال مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم كله أو اجزاء منه، إضافة إلى بعض مبادئ الفقه فإذا ختم الطالب القرآن الكريم أقام له ذووه احتفالا يحضره شيخ الكتاب الذي يتلقى ما تيسر له من مال أو هدايا[40]، ويمنح للطالب قطعة قماش ليخيط توبا ليرتديه أو يقدم له ثوبا جاهزا، وبالمقابل يكافئ شيخ الكُتاب على مجهوده بمنحه مبلغ من المال وبعض المؤن كالقمح والشعير والزيتون والخضر.

وقد تحدث الرَّحَّالة "أبو زيد عبد الرَّحمٰن الجامعي الفاسي" لمَّا زار الجزائر حوالي سنة 1119 هـ عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر، فقال:" ...**وقد كان بهذه الحضارة نحو مائة 100مكتب مليء بالأولاد حيث أن المحل الذي لا يسع للتلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة، والكتابة، ويحفظون القرآن العظيم، وحفاظه كثيرون والدروس العليا تلقى في المساجد والزوايا العديدة بالخصوص الجامع الأعظم فكان فيه 19أستاذًا**"، بحيث كانت هذه المدارس مخصصة لإلقاء الدروس بها، وعرفت طريقها للانتشار في المناطق الحضرية، وقد كانت هذه الكتاتيب بمثابة مكاتب قرآنية تؤدي نفس مهام المساجد والزوايا[41]. وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه، فهناك مثلا مكتب سوق القندقجية ومسيد القيصرية، ومكتب السماعين وبعضها كان يحمل اسم الزاوية أو الشارع مثل مسيد كوشة الوقيد، وأحيانا كان المكتب يحمل اسم الواقف أو المؤدب المشهور مثل مكتب علي باشا، إذا كان المكتب في البادية فهو يسمى" الشريعة" إذ تنصب لذلك خيمة خاصة بتحفيظ القرآن الكريم إقامة الصلوات[42].

---

37 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 284-285.

38 المهدي بوعبدلي، **الحياة الثقافية بالجزائر**، الطبعة الأولى، عالم المعرفة والتوزيع، الجزائر، 2013، ص42.

39 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ، ص276.

40 فاطمة دخية، المرجع السابق، ص21.

41 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص68.

42 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص277.

وكانت الأدوات الأساسية المستخدمة في الكتاتيب تتمثل في الألواح الخشبية والأقلام من القصب والصلصال[43] وقد أعجب القنصل أمريكا شالر بالطريقة التربوية المنتهجة في **الكتاتيب** وبجمال الخط العربي ولاحظ أن النظام التربوي لا يكلف إلا شيئا قليلا من المال، والبنات يتعلمن في مدارس من نفس النوع تشرف على إدارتها نساء[44] وكان يتكفل بتدريسهم المؤدبون والطلبة والأمة ومهما اختلفت تسميتهم ورتبهم فإن التسمية الشائعة هي سيدي الشيخ وقد أسهبت المصادر في وصف طريقة التدريس المتبعة في الكتاتيب وحسب مصادر القرنين18و19م فإن طريقة التدريس لم تتغير طوال العهد العثماني[45].

5-المعمرات: وهي شبيهة بالكتاتيب كانت منتشرة أيضا في الارياف والقرى الجزائرية خلال الفترة العثمانية ينتقل إليها التلاميذ الدارسون بها من مختلف الجهات، واحيانا من خارج الجزائر من أجل حفظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله...الخ. وتسير المعمرات من طرف التلاميذ الدارسين بها، وذلك من حيث القيام بأعمال النظافة والصيانة وتحضير الطعام وجلب المياه وتنظيف المؤن الغذائية، والقيام برعي الحيوانات المحبوسة للمعمرات، وينقسم طلبة وتلاميذ المعمرات إلى عدة فئات وذلك بحسب السن والقدم والثقافة كما يلي:

- **فئة القدادشة**: وتتكون من التلاميذ الصغار.
- **فئة الطلبة**: وتتكون من الطلبة الذين يمثلون فئة فوق فئة القدادشة، وذلك من حيث السن والقدم والثقافة ويتركز اهتمام هذه الفئة على حفظ القرآن الكريم.
- **فئة المقدمين والوكلاء والشيوخ الكبار**: وهي الفئة أعلى منزلة في المعمرات فهي تقوم بمهمة التوجيه ماديا وفكريا، وتتمتع بكل الصلاحيات في حل المشاكل المطروحة، وهي فئة معفية من كل الاعمال التي تقوم بها كل من الفئتين السابقتين.

6- المكتبات: كانت الجزائر خلال العهد العثماني في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، وكانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ أو بجلب من الخارج من الأندلس ومصر وإسطنبول والحجاز، ومع سيادة العلوم الدينية في العهد العثماني كان محتوى المكتبات(التفاسير والأحاديث الدينية، وكذا الفقه والأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية وحتى الأدب والنحو، والصرف واللغة والبلاغة والعروض)، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة فكانت قليلة وكتب الحساب والطب والفلك أقل من القليل، وقد كثرت المخطوطات في العهد العثماني وكانت مكتباتها منقسمة إلى عامة وخاصة[46]. حيث وجد عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، فكانت تلمسان عاصمة علمية مزدهرة، بلغت فيها صناعة الكتاب تأليفًا ونسخًا وجمعًا درجة عالية، وما يقال عن مدينة تلمسان يقال عن مدينة بجاية، وقسنطينة، وفي أعماق الصحراء[47].

وكانت المكتبات **العامة والخاصة** تضم اشتات المخطوطات في مختلف فنون الوقت، كما كان يرتادها الطلبة والاساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، والمكتبات العامة كانت وقفا وحبسا على المساجد والزوايا والمدارس، وهي موزعة على القطر الجزائري لاسيما المدن مثل الجزائر العاصمة، وتلمسان ومازونة وقسنطينة...الخ، والأخيرة كما يذكر بول قافاريلPaul Gaffarel"**– قسنطينة– أهلها مولعين**

43 ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص334.

44 وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816–1824م**، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982، ص82.

45 ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص334.

46 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 285-287.

47 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص71.

باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أنى وجدت، وقد وجدت فرنسا عند دخولها لمدينة قسنطينة-17مكتبة خاصة تحتوي على14000من المجلدات"[48].

وما يقال عن هذه المكتبات يقال عن **المكتبات الريفية** وهي في الغالب مكتبات خاصة، هي الأخرى كان لها أهمية في أنحاء البلاد كمكتبة **ميزاب في بني يزقن**، بحيث حافظ عليها أصحابها كعائلة **التميمي وأطفيش**، وكانت **الزاوية البكرية وقصر ملوكة** مركزًا هامًا لحركة الكتاب في الجزائر الغربية والجنوبية، كما هو الحال في مكتبة زواوة وورقلة وبجاية والخنقة، وهذا كله يدل على وفرة الكتب في الجزائر حتى في المناطق النائية.

وقد اختلفت طرق اقتناء الكتب، حيث أن الحرصين على جمع الكتب كانوا ينسخون الكتب بأنفسهم، أو ينسخها غيرهم، وقد انتشرت حركة النسخ والاستنساخ في الجزائر بحيث كان لها اختصاصيون مشهورون وقد اشتهرت مثلاً قسنطينة بالناسخين والخطاطين، ومنهم **أبو عبد الله بن العطار** من أسرة شهيرة تولت الوظائف الرسمية في العهد العثماني وكان النسخ يتم بالخط الأندلسي الذي تغلب على الخطوط الأخرى في المغرب العربي إضافة إلى الخط العثماني الذي جاء به العثمانيون.

ومن أهم ما جاءوا به ونسخوا من الكتب، كتب الفقه الحنفي، وكتب الأدعية والأذكار الصادرة عن الطرق الصوفية، وتحدث **التمكروتي** في أواخر القرن10هـ/16م عن وفرة الكتب في **مدينة الجزائر**، حيث قال: **"وطلبة العلم فيها لا بأس بهم...والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيراً..."**.

وكان مصير هذه الكتب المخطوطات غير آمن، حيث ضاع الكثير منها نتيجة الإهمال والنهب والتهريب، والحروب التي وقعت بين الجزائريين والعثمانيين أو مع الأجانب، ومن ذلك مكتبة **الشيخ أبر راس، وأحمد بن سحنون** عندما تعرضت مدينة الجزائر للقصف من أسطول الدول الأوروبية، وعند إهمال مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة سُمح للعلماء بأخذ الكتب إلى بيوتهم وبيع بعضها إلى خارج الجزائر، حيث وجد عند الشيخ" **محمد بن ميمون** "أربعين كتابًا من مكتبة الجامع الكبير[49].

إن بعض العلماء اشتهروا بالتدريس أكثر مما اشتهروا بالتأليف وإذا كانت شهرة المؤلف بكتبه وآرائه، وموضوعه وأسلوبه فإن شهرة المدرس بطريقته وتلاميذ وفصاحة لسانه واطلاعه الواسع على الموضوع الذي يعالجه وقلما كان العالم يجمع بين التأليف والتدريس، ومن الذين جمعوا بين الأثنين أبو راس وأحمد المقري والفكون[50]، و أجمالا يعطينا استاذنا ناصر الدين سعيدوني، في مقال له بعنوان "الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في ولايات المغرب العثمانية (الجزائر- تونس-طرابلس الغرب) من القرن16م حتى القرن19م"، **العلماء والمؤرخين والادباء** الذين لهم مساهمات في الحركة العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني منهم نجد:

- **من علماء الجزائر المشاهير:**

- **عبدالرحمن الأخضري** توفى عام1575م، واضع "**نظم الجوهر المكنون**" في البلاغة و" **السلم المرونق في علم المنطق**".
- **أبو العباس أحمد المقري** المتوفى عام1632م صاحب "**نفح الطيب بغصن الأندلس الرطيب**".

48 محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص61.

49 أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص ص71-72.

50 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 356.

- **أبو مهدي عيسى الثعالبي** المتوفى عام1668م صاحب " **مقاليد الأسانيد**" و "**المجموع في درر المجاز**" و "**يواقيت المسموع**".
- **ويحيى الشاوي** المتوفى عام1685م له مصنفات منها رسالة في "**اصول النحو**".
- **والشيخ سعيد قدورة** المتوفى عام1685م.
- **وعبدالعزيز الثميني** المتوفى عام1808م له كتاب "**النيل وشفاء العليل**" في فقه الإباضية[51].

- **واشتهر في الجزائر أيضا في مجال التراجم والرحلات وعرض الآراء والمواقف الشخصية:**

- **محمد بن مريم المديوني** المتوفى عام1611م مؤلف" **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**".
- **عبدالكريم بن الفقون** المتوفى عام1662م صاحب "**منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**".
- **أحمد بن القاسم بن محمد الساسي البوني** المتوفى1726م وله "**التحفة الشهية في الرحلة الحجازية**" و "**الدرر المصونة في علماء وصلحاء بونة**".
- **محمد بن ميمون الجزائري** المتوفى سنة1746م واضع "**المرضية في اخبار الدولة البكتاشية**".
- **الحسين بن محمد السعيد الوتلاني** المتوفى سنة1779م المعروف برحلته المشهورة "**نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار**".
- **عبدالرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري** المتوفى عام1783م صاحب مصنف "**رحلة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**" و "**كشف الرموز وتعديل المزاج بسبب قوانيين العلاج**".
- **أحمد بن عبدالله بن عمار** المتوفى بعد عام1790م مؤلف رحلة" **نحلة البيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**" وتقاليد" **لواء النصر في فضلاء العصر**".
- **حمدان بن عثمان خوجة** حوالي1845م وله "**المرآة**" وهي عبارة عرض تاريخي وإحصائي عن الجزائر أواخر العهد العثماني، و " **إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء**"
- **محمد بن محمود العنابي** المتوفى عام1850م وله " **السعي المحمود في نظام الجنود**".

- **وكما اشتهر في التقييد والأخبار والروايات في الجزائر كل من:**

- **عبدالقادر بن عبدالله المشرفي** المتوفى حوالي1778م وله " **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**".
- **محمد بن رقية الجديري التلمساني** المتوفى بعد عام1780م وله " **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**".
- **أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي** توفى بعد1796م وله"**الثغر الجماني في اخبار الثغر الوهراني**".
- **محمد المصطفى بن عبد الله بن زرقة الحاوي** المتوفي عام1800م وله "**الرحلة القمرية في السبرة المحمدية**".

---
51 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص75-76.

- **أحمد بن محمد بن هطال التلمساني** المتوفى بعد سنو1804م وله " **رحلة محمد الكبير باي الغرب نحو الجنوب الوهراني**".
- **محمد بن أحمد بن أبي راس الناصري** المتوفى حوالي1823م عرف بانتاجه الوفير الذي قدر بخمسين50تصنيفا، أهمها "**درء الشقاوة في فتنة درقاوة**" و "**عدتي ورحلتي في تعداد رحلتي**" و" **عجائب الأسفار ولطائف الخبار في شرح قصيدة نفيسة الجمان في فتح مدينة وهران**".
- **مسلم بن عبدالقادر الوهراني** المتوفى عام1832م وله "**خاتمة أنيس الغريب والمسافر**".
- **الحاج أحمد الشريف الزهار** المتوفى عام1872م وله تقييد في شكل مذكرات.
- **أبو حامد محمد العربي المشرفي الغريسي** المتوفي عام1882م وله مؤلفات عديدة أهمها في التاريخ "**طرس الأخبار**" و "**ذخيرة الأوائل والأواخر**" و" **ياقوتة النسب الوهاجة**".
- **أبو إسماعيل بن عودة المزاري** المتوفى بعد عام1897م وله "**طلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران ومخزنها الأسود**".
- **محمد بن يوسف الزياني البرجي** المتوفى عام1902م وله " **دليل الحيران وانيس السهران في أخبار مدينة وهران**"[52].

في مطلع القرن10هـ/16م ونتيجة للظروف الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر هاجر عدد كبير من العلماء الجزائريين إلى الدول العربية والإسلامية وكان معظم علماء تونس انتقلوا إلى المغرب الأقصى في عهد السلطان عبدالله الغالب1557-1574م بعد الحروب التي اندلعت بين العثمانيين والزيانيين المتحالفين مع الإسبان، وكان من بين العلماء المهاجرين أحمد بن أحمد العبادي التلمساني الذي استقر بفاس في عام1561م والذي عاد فيما بعد إلى تلمسان ليستقر بمليانة، ومن بين العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب الاقصى في بداية العهد العثماني أبو الحسن المطغري وأحمد الونشريسي، وعلي بن هارون الذي كان من كبار فقهاء المالكية استقر بفاس وتوفى بها، وأحمد الوهراني ومحمد بن محمد التلمساني ومحمد شقرون وعبدالواحد الونشريسي واحمد العقباني ومحمد بن عبدالرحمن التلمساني، وأبو القاسم بن سلطان ويحيى الزواوي.

وقد تقلد علماء الجزائر عدة مناصب في جامع القرويين بفاس ومكناس ومراكش وتارودانت ومنهم من نال مكانة مميزة عند سلاطين المغرب أمثال ممد بن عبدالرحمن بن جلال التلمساني1502-1573م مفتي تلمسان وفاس الذي انتقل إلى فاس في عام1551م في عد السلطان محمد الشيخ الشريف تولى الإمامة والخطابة والتدريس بجامع القرويين وكان يقوم بجولات علمية عبر المدن المغربية مثل تارودانت ومراكش. وحذا حذوه محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد توفى عام1591م الذي استقر بتارودانت وولى بها القضاء، ثم انتقل إلى مكانسة أين تولى الخطابة ليستقر في الاخير بتارودانت.

ولم تكن اتصالات علماء الجزائر بالمغرب مقصورة على علماء تلمسان بل هناك علماء من الشرق الجزائري انتقلوا إلى المغرب منهم أبو القاسم القسنطيني المتوفى عام1586م، ويحي الزواوي المتوفى عام1590م[53].

52 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص(76-78).

53 ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص323-324.

وقد استقبلت تونس عددا من العلماء الجزائريين أمثال الفقيه عاشور بن عيسى القسنطيني1576-1664م، الذي تولى التدريس بجامع الزيتونة وتوفي بتونس، وسعيد بن إبراهيم قدورة المتوفى1655م تونس الأصل جزائري المولد كان مفتيا بالجزائر[54].

وقد اتخذ علماء الجزائر بعد أن عرفت الحياة الثقافية ركودا في بلدان المغرب الاقطار المشرقية ولاسيما مصر قبلة لهم، فهناك عدد كبير من العلماء والطلبة الذين زاولوا تعليمهم بالأزهر، ومنهم من تقلد مناصب عليا كالتدريس والإفتاء أمثال الشيخ محمد حسين الجزائري المتوفى عام1773م، والشيخ أبو العباس الجزائري المغربي المتوفى عام1798م الذي كان مدرسا في الرواق المغاربة بالأزهر...الخ.

لقد ترك العلماء الجزائريون بعد هجرتهم فراغا ثقافيا في الحواضر الجزائرية وعرفت الحياة العلمية والدينية تدهورا وركودا في عهد الاغوات1659-1671م خلاله استغل بعض الطفيليين حالة الفوضى والاضطرابات ليدعوا العلم والمعرفة وهذا ما جعل عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الفكون يؤلف كتاب يفضح فيه أولئك الانتهازيين[55] بعنوان" **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**"، خصصه للحدث عن من تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم وفي من ادعى الولاية من الدجاجلة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين[56].

وبالرغم من عدم توفر الاسباب المشجعة لاستقرار العلماء بالجزائر فإن جذوة الثقافة بقيت موقدة بفضل بعض العلماء الذين فضلوا المكوث في الجزائر لمواصلة نشاطهم العلمي وقد أشاد ابن زاكور المغربي1663-1708م الذي حل بالجزائر في عام1683 بعلماء الذين قال عنهم:" **غرر اعلام، ينجلي بهم الأظلام، وشموس تنفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار الأمة، من رجال كالجبال، واحبار كالأقمار طلعوا في بروج سعودها بدورا البسوها رواء ونورا**" وذكر ابن زكور بعض منهم أمثال الشيخ محمد بن سعيد قدورة، والشيخ المانجلاتي المتوفى في عام1699م- المانجلاتي أسرة جزائرية اشتهر أفرادها بالعلم منهم علي بن محمد المانجلاتي الذي تولى الافتاء والتدريس بالجزائر توفي في عام1833م-[57].

ولم تعرف الحياة الثقافية تحسن طوال القرن18م ومطلع القرن19م إذ ساءت الحالة المادية للعلماء مما دفعهم للهجرة والانصراف لممارسة التجارة نذكر على سبيل المثال لا الحصر حمودة بن محمد بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمقايسي المتوفي في عام1829م. وزات الحياة الثقافية سوءا بعد أن تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي في عام1830م قد غادر عدد كبير من العلماء ليستقروا في الدول المغاربية المشرقية فهناك من أرغم على الهجرة وهناك من رحل بمحض إرادته[58].

وفي الأخير العهد العثماني في الجزائر ساده الركود الثقافي شأنه شأن باقي الدول العربية؛ حيث لم تعرف حركات تجديد فكرية ولا نهضة علمية، بالرغم من أن العربية ظلت لغة التعليم ولغة الشعب، فإن الدولة قد اتخذت التركية لغة رسمية، ولم ينحصر إنتاج اللغة العربية على الموضوعات الدينية والتعليمية وقليل من الشعر، وقد أرخت كُتب الرحالة الذين حلوا بالجزائر إبان الفترة العثمانية إلى أن التعليم كان منتشرا في الجزائر وأن كل جزائري كان يعرف القراءة والكتابة، فقد كان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصة تعليم القرآن

---

54 ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص329-330.

55 نفسه، ص ص330-331.

56 عبد الكريم بن الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** ،تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987م، ، ص ص (63-197(.

57 ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص330-331.

58 نفسه، ص ص330-331.

والحديث والعلوم العربية والإسلامية، لأن دراسة مثل هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة وفهم أسرار الدين والقرآن والسنة[59]، ويمكن إرجاع أسباب تدهور الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني إلى كون الحكام العثمانيين لم يولوا اهتماما خاصا فكانت مسؤولية تثقيف المجتمع يتكفل بها الخواص وهذه الظاهرة لم تكن خاصة بالجزائر فقط بل كانت سائدة في جميع الأقطار العربية التابعة للدولة العثمانية.

ولم تكن للدولة سياسة تعليمية ولا برامج محددة فكان دورها مقصورا على مبادرات شخصية لبعض الحكام الذين كانوا يشيدون المدارس بأموالهم الخاصة ويعينون عليها مدرسين ومن اولئك البايات الذين أولوا اهتماما خاصا للعلماء باي معسكر إبراهيم الملياني1751-1756م الذي قيل عنه:" **أنه كان محبا للعلم وأهله، وكان من شدة محبته للعلماء يشتري لهم الجواري الحسان، وجعلهم طبقات بحسب تفاوتهم في العلم، وكان يكثر من جلوسهم والمذاكرة معهم، ومن تعرض منهم لحاجة عنده قضاها له فورا**".

ويعد **الباي محمد بن عثمان من البايات** الذين قدموا الكثير لقطاع التعليم فأعاد بعث الحركة الثقافية بصفة عامة في بايلك الغرب بعد أن عرفت ركودا في الفترات السابقة، فقد شيد عددا من المساجد والمدارس في مدن وارياف البايلك، ورتب لها مدرسين وخصص لها مداخيل الأوقاف للتسيير والرواتب.

وكانت أشهر مدرسة تلك التي بناها الباي محمد في معسكر بالقرب من جامع المبايعة والتي تعرف بالمحمدية، ومن الأمور التي اهتم بها الباي محمد تزويد المدارس والمساجد بالمكتبات والكتب وتشجيع العلماء على التأليف، وقيل عنه:" ولمحبته للعلم والأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ، ويستكثر منها، وينتسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه وكثيرا ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه"، ومهما كانت نوايا الداي الحقيقة من وراء سياسته التعليمية، وهذا ما مكنه من نيل دعم الطلبة والعلماء وتجنيدهم إلى صفوفه اثناء تحريره لمدينة وهران من الإسبان في عام1792م، وقدر عدد الطلبة الذين شاكروا في المعركة بخمسمائة500طالب، وكبيرهم الشيخ محمد بن المولود المخيسي وفيهم العلامة ولي الله الشيخ سيدي محمد بن أبي طالب المازوني.

ويعتبر **صالح باي بايلك قسنطنية** واحدا من البايات الذين اهتموا بالمجال التعليمي ونشره ولأجل ذلك شيد في كل نواحي البايلك المساجد والمدارس ففي مدينة الجزائر انجز مسجد سيدي الكتاني والحق به مدرسة التي تم بناؤها في عام1775م، وشيد مدرسة أخرى بالقرب من مسجد سيدي الأخضر في عام1789م، وعين صالح باي عددا من المدرسين لتدريس الفقه والتفسير والحديث واللغة. وغيرها من العلوم وخصص موارد الأوقاف لدفع رواتب المدرسين والموظفين ومنح الطلبة، ووضع الباي نظاما داخليا للتعليم حتى يمكن طلبة الارياف من الإقامة بالمدرسة لمزاولة تعليمهم، وقد استعان صالح باي لإنجاح سياسته التعليمية ببعض العلماء أمثال الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي، وشعبان بن جلول القاضي الحنفي...الخ[60].

• خاتمة:

وفي الختام نستطيع القول أن المؤسسات التعليمة بتنوعها قامت بدورها التاريخي في نشر الثقافة العربية الإسلامية؛ بالرغم من أن هذه المؤسسات قد غلب عليها الطابع الديني؛ إلا أنها حققت بعض النتائج الإيجابية المتمثلة في تلقين شريحة واسعة من المجتمع الجزائري

---

59 فاطمة دخية، المرجع السابق، ص20.

60 ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص(332-339).

القراءة والكتابة. وبالرغم من عدم دعم الدولة العثمانية بالمجال التعليمي في الجزائر إلا أن المجتمع الجزائري حمل على عاتقه هذا الدور كاملا حيث دفع بدفة المعرفية إلى الأمام، وذلك بتخصيص أموال كبيرة من الأوقاف لبناء المؤسسات التعليمية؛ فانتشرت المؤسسات وتنوعت مهامها مما جعل الأجانب ينبهرون بذلك؛ فقد أجمعوا على انعدام الأمية في أواخر العهد العثماني، وما يلاحظ أيضا أن التعليم بالجزائر في العهد العثماني غلب عليه الطابع التقليدي، حيث لم يواكب التطورات الحاصلة في أوربا آنذاك.

- **قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليهم:**

– أشرف صالح محمد سيد، "**المراكز الثقافية في دار السلطان– الجزائر– اواخر العهد التركي**"، مجلة أماراباك، المجلد4، العدد2013.

– بوعبدلي المهدي ، **الحياة الثقافية بالجزائر**، الطبعة الأولى، عالم المعرفة والتوزيع، الجزائر، 2013.

– زوز عبدالحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830–1900)**، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2009.

– سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي1500–1830**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.

– سعيدوني ناصر الدين ، "**الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في ولايات المغرب العثمانية (الجزائر– تونس–طرابلس الغرب) من القرن16م حتى القرن19م**"، مجلة الحوليات والعلوم الاجتماعية، العدد31، جامعة الكويت، 2010م.

– شويتام ارزقي ، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519–1830م**،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، عمار بن خروف، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ جامعة الجزائر،2005–2006م.

– شالر وليام ، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816–1824م**، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

– عبد الكريم بن الفكون ، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** ،تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987م.

– عزوق عبد الكريم ، **تطور المآذن في الجزائر**، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ،2006.

– محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

– محمود بن محمد بن عبدالعزيز، **الباشي**، تقديم، محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس،1974.

– نور الدين عبد القادر ، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر،2006.

– دخية فاطمة ، **الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني**، إشراف: تبرماسين عبدالرحمن، رسالة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، غير منشورة، كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية 2014–2015م.